

متفرقات في العقيدة والقرآن والقراءات!

هل يجوز أن تقول: فلان ربي؟

الأمر متعلق بالنية؛ قال يوسف عليه السلام {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} [يوسف: ٢٣]؛ من قالها ويريد بالرب سيده من البشر؛ جاز؛ ومن قالها ويريد من الرب الإله أو المعبود أو الخالق .. الخ؛ فهذا كفر وشرك. النية عليها مدار الأمر كله.

س: إذا قلت: الشكر لله ولفلان يجوز؟ وهل هو شرك؟

ج: يجوز، وليس شركاً؛ والدليل {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [لقمان: ١٤].
اتركوا الوسوسة.

س: هل يجوز لي هجر البيت إذا كان والدي يشرب الخمر ولا يصلي؟

ج: لا يجوز لك هجره حتى لو كان مشركاً، بل صاحبه في الدنيا بالمعروف؛ والدليل {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان]

س: ما عقوبة من استهزأ بالدين والقرآن والنبي وصاحبي الصحابة وأهل البيت وسخر منهم؟

ج: اجتناب مجلسهم حتى يخوضوا في حديث غيره. والدليل {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ} [النساء: ١٤٠]؛ هذه عقوبته في القرآن المكي والمدني؛ غاية السلم والحرية.

س: هل السخرية من صحابي وذمه أعظم أم الكفر بآيات الكتاب والاستهزاء بها؟

ج: الثاني قطعاً.

س: ولماذا الناس يعاقبون اليوم في الأمرين؟

ج: جهل وغلو.

س: هل أول واجب هو التوحيد؟

ج: كلمة التوحيد خطأ، وليست في كتاب ولا سنة؛ لم يكن متفرقاً فتوحده؛ إنما قل: (الوحدانية = أوّمن بوحداية الله).

س: هل ما قضاه الله حتم ولا بد منه؟

ج: نعم.

س: ولماذا قال الله: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)؛ ونحن نرى من يفعل خلافه؟

ج: القراءة الصحيحة (ووصى) كما ذكره الأئمة ابن عباس وغيره؛ شاهده؛ ووصينا الإنسان بوالديه = العنكبوت؛ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً = (الأحقاف).

س: وهل سبقك أحد من السلف إلى ذلك؟

ج: نعم؛ قراء الصحابة وعلمائهم؛ كأبي بن كعب وابن عباس وابن مسعود؛ وجمع من فضلاء التابعين والعلماء المحققين.

س: هل يمكن ذكر بعض النماذج؟

ج: نموذج ١: تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢٣/٧) عن ابن عباس قال:

أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكم (ووصى ربك؛ فالتصقت إحدى الواوين بالصاد - أي عند كتابتهما القرآن - فقرأ الناس (وقضى ربك) ولو نزلت على القضاء ما أشرك أحد) اه كلام ابن عباس.

نموذج ٢: عن ابن عباس أيضاً من طريق آخر: في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢٥٧/٥) قال: أخرج الفريابي وسعيد بن منصور والطبري؛ وابن الأنباري في المصاحف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وقضى ربك) قال: التزقت الواو بالصاد وأنتم تقرؤونها (وقضه ربك) اهـ.

نموذج ٣: قراءة عبد الله بن مسعود؛ ففي تفسير الطبري (٤١٣/١٧) (وفي حرف ابن مسعود: (وَصَّى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)) اهـ.

نموذج ٤: أبي بن كعب سيد القراء؛ ففي (تفسير الطبري (٤١٣/١٧) من طريق حبيب بن أبي ثابت: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبي بن كعب؛ قال أبو كريب: قال يحيى (ابن عيسى شيخه): رأيت المصحف - أي مصحف أبي - عند نصير (ابن أبي الأشعث) فيه: (وَوَصَّى رَبُّكَ) (...). اهـ.

نموذج ٥: تفسير الطبري (٤١٤/١٧) بسنده عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها (وَوَصَّى رَبُّكَ)؛ وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً اهـ. أي الكتبة.

نموذج ٦: علي بن أبي طالب، ففي تفسير الثعلبي (٩٢/٦) قال: قراءة علي وعبد الله وأبي: (ووصى ربك) اهـ. وقراء الصحابة الكبار هم هؤلاء الثلاثة.

نموذج ٧: وذكر ابن عطية أسماء أخرى فقال في تفسيره "المحرر الوجيز" (٣): (٤٤٧/٤٤٧) وفي مصحف ابن مسعود «ووصى ربك» وهي قراءة أصحابه، وقراءة ابن عباس والنخعي وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وكذلك عند أبي بن كعب، وقال الضحاك تصحف على قوم (وصى) ب (قضى) حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف اهـ. وفي تفسير ابن عطية (٤٤٧/٣) عن ميمون بن مهران: إنه قال إن على قول ابن عباس لنوراً، قال الله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً الآية) اهـ.

وروى السيوطي في كتابه الإتقان (٣٢٨/٢) رواية مفصلة عن الضحاك بن مزاحم نصها: ليس هكذا نقرؤها ولا ابن عباس، إنما هي (ووصى ربك) وكذلك كانت تُقرأ وتكتب فاستمد كاتبكم - أي وضع القلم في المداد - فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتصقت الواو بالصاد ثم قرأ (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)؛ ولو كانت (قضى) من الرب لم يستطع أحد رد قضائه؛ ولكنه وصية أوصى بها العباد) اهـ. تفصيل عجيب!

س: فهل نقرؤها (ووصى ربك)؟

ج: اقرؤوها كما يقرأها الناس، منعاً للفتنة؛ إنما هذا جواب من استشكل (وقضى ربك)؛ يقال له: هناك قراءة أخرى لعلها الأصح.

س: وإذا لم تكن فتنة وصلية وحدي؟ هل يجوز لي أن أقرأ بها؟

ج: يجوز لك القراءة بما تراه أرجح من القراءات؛ والسلف - كما رأيت - في اختياراتهم حرية.

س: وهل هناك قراءات أصح أخرى، والسائد على خلافها؟

ج: نعم؛ مثل (مالك يوم الدين)؛ القراءة الأقوى والأصح (ملك يوم الدين)؛ هي الأصح والأشهر قديماً؛ وقد احتج شيخ المفسرين الطبري لقراءة (ملك يوم الدين) ورجحها على (مالك)؛ ذلك في تفسيره الطبري (١٤٩/١) نختار مما قال ما يلي: قال الطبري: (وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندي.. هي قراءة من قرأ "مَلِكٍ" بمعنى "المَلِكُ"؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك، إيجاباً لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة الملك على المالك، إذ كان معلوماً أن لا مَلِكَ إلا وهو مَالِكٌ، وقد يكون المالك لا ملكاً.. اهـ.

وزاد محتجاً فقال: ((وبعدُ، فإن الله جلَّ ذكره، قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله (مَلِكُ يوم الدين) أنه مَالِكُ جميع العالمين وسيِّدهم، ومُصلِحُهم، والناظرُ لهم، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة، بقوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وإذا كان جلَّ ذكره قد أنبأهم عن ملكه إِيَّاهم كذلك بقوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فأولى الصفات من صفاته جلَّ ذكره

أَنْ يَتَّبِعَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ فِي قَوْلِهِ (رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) ، مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة، وكان في إعادة وصفه جلّ ذكره بأنه مالك يوم الدين) إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله (رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ مع تقارب الآيتين وتجاوز الصفتين؛ وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة، لا تفيد سامع ما كرّر منه فائدةً به إلّا حاجة؛ والذي لم يحوّه من صفاته عز وجل ما قبل قوله (مالك يوم الدين المعنى الذي في قوله: (مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ) ، وهو وصفه بأنه المَلِكُ.

فَيَبِينُ إِذَا أَنْ أَوَّلَى الْقَرَاءَتَيْنِ بِالصَّوَابِ، وَأَحَقُّ التَّأْوِيلَيْنِ بِالْكِتَابِ، قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَهُ (مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ) ، بِمَعْنَى إِخْلَاصِ الْمُلْكِ لَهُ يَوْمَ الدِّينِ، دُونَ قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ (مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) الَّذِي بِمَعْنَى أَنَّهُ يَمْلِكُ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ وَفَصَلَ الْقَضَاءَ، مَتَفَرِّدًا بِهِ دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ) اه كلام الطبري.

وهو نفيس؛ والقراءتان مازالتا إلى اليوم؛ من يقرأ (ملك) وهو الأصح ومن يقرأ (مالك)؛ ولكن لا أرى للمفتين من الجانبين التشدد على هذا ولا ذاك؛ اقرأ بأي قراءة تراها أصوب وأصح، خاصة إذا تم تفهيم العامة الخلاف كي لا يظنوا تحريفاً.

س: وهل تؤمن بأن هذه الاختلافات كلها من عند الله أم جاءت بسبب الكتبة والقراء؟

ج: أرى القرآن واحداً نزل من عند واحد، بلا خلاف في حرف ولا لفظة.

س: وكيف لنا أن نعرف ذلك القرآن كما أنزل؟

ج: لا يستطيع فريق أن يجزم أن قراءته هي كما أنزل؛ ولكن في تسامح من سبقنا وأعدار بعضهم بعضاً درس وقدوة.

س: هل الخلاف حصل بين القراء فقط أم من قبل؟

ج: الخلاف قديم بين علي وأبي بكر وابن مسعود وعثمان الخ؛ وتكافر الناس بعد، حتى جمعه عثمان وحرق البقية.

س: وهل استجاب الفريقان لمصحف عثمان؟

ج: كلا؛ كان ابن مسعود يقول (غلوا مصاحفكم، فإن الغال يأتي بما غل يوم القيامة)؛ ثم كان من جملة حجج وشعارات الثوار على عثمان قولهم (حراق المصاحف)؛ فتحريق عثمان للمصاحف المخالفة لم يمنع بقاء الخلاف فترة ما؛ وكان في الثوار صحابة وتابعون أجلاء.

س: وهل تم استدراك قراءات هؤلاء ؟

ج: تقريباً؛ ولذلك نقل أهل التفاسير قراءة علي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيرهم؛ ولو فנית تماماً لما عُلِمَت.

س: وما هو الخلاف بين علي وأبي بكر في هذا الموضوع؟

ج: أن علياً جمع القرآن وأعطاه أبا بكر عندما علم بنيته تكليف زيد بن ثابت؛ لكن أبا بكر رفض ذلك.

س: وهل مصحف علي مختلف عن المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت؟

ج: لا أظن؛ ربما في بعض الحروف وترتيب النزول فقط؛ كما سبق في (مالك وملك) و (وصى وقضى).

س: ولماذا رفض أبو بكر جمع علي للقرآن؟ وما صحة ذلك أصلاً؟

ج: أما الصحة فمشهور رواه السنة والشيعه؛ وأما السبب؛ فلا أعرف حتى الآن سبباً وجهاً.

س: من روى هذا من أهل السنة؟

ج: كثير.

ابن سعد وابن أبي شيبة في مصنفه؛ وقبلهما عبد الرزاق في المصنف ثم ابن أبي داود في المصاحف وغيرهم.

س: اعطنا نموذجاً من تلك الروايات - خلاف علي مع أبي بكر.

ج: ربما ننقل من الذهبي؛ ففي تاريخ الإسلام (٣/٦٣٧) حوار بين أبي بكر وعلي؛ وفيه قول علي (آليتُ ألا أرتدي بردائي إلا

إلى الصلاة، حتى أجمع القرآن، فزعموا أنه كتبه على تنزيله؛ فقال محمد بن سيرين: لو أصبْتُ ذلك الكتاب كان فيه

العلم) اه. ولم يتعقبه الذهبي بشيء - كما هي عادته - والخبر - كما قلت - في المصادر القديمة قبل الكتب الستة؛ أي مثل

ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن سعد ونحوهم.

س: وما معنى أن علياً (كتبه على تنزيله)؟

ج: يظهر لي (حسب ترتيب السور)؛ واختيار بعض الألفاظ المختلف فيها؛ مثل (ملك يوم الدين)؛ وربما تفسيرات.

س: وأين مصحف الإمام علي اليوم؟

ج: لا أعلم؛ لكن شأنه شأن مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب؛ تروى عنهم ألفاظ.. وقد أطلت عنه ابن النديم في الفهرست.

س: ومصحف عثمان؛ لماذا لم يقربه ابن مسعود؟

ج: ابن مسعود كان يعترض على (الإلزام بقراءة زيد بن ثابت)؛ كان لا يرى زيد بن ثابت أهلاً لهذا الأمر.

س: ولكن ابن مسعود لم يعترض على زيد بن ثابت أيام أبي بكر؟

ج: ربما لأن أبا بكر لم يلزم بذلك المصحف، ولم يحرق ما خالفه، وكان ابن مسعود معه مصحفه.

س: ولماذا لم يدخل أبو بكر وعثمان المخالفين ضمن (كتبة المصحف)؛ خاصة وأنهم كبار؛ كعلي وابن مسعود، ثم قد

شهدوا نزول المكي والمدني معاً؛ وليس كزيد؟

ج: لا أدري؛ شخصياً كنت أتمنى لو كان علي وابن مسعود وأمثالهم في (لجنة كتابة المصحف)؛ فهم أعلم من زيد بن ثابت، ولعل السبب بساطة تلك المرحلة.

س: كيف (بساطة تلك المرحلة) وقد عارض ابن مسعود بقوة، ومعه تلامذته وجملة من الثوار احتجاجوا بحجته وجعلوا

(تحريق المصاحف) من أسباب ثورتهم؟

ج: أعني بساطة تلك المرحلة؛ أي الأولى (جمع أبي بكر)؛ أما في عهد عثمان فقد اختلف الناس في الأمصار، وكان الأولى إشراك كبار الصحابة حسماً للخلاف. وليسبب آخر؛ وهو أن عثمان أراد توزيع النسخة (العثمانية) على الأمصار وإتلاف ما سواها، فهنا الأمر مختلف؛ وكان الأولى إشراك الثلاثة القراء الكبار.

س: يعني أنك ترى أن الخلاف (فني) أكثر منه في (مضمون القرآن)؟

ج: لا أقول بأن الخلاف في مضمون القرآن؛ ولا أرى الطريقة الفنية لعثمان كانت مناسبة.

س: كيف؟

ج: أما المضمون؛ فأرى الخلاف يسيراً - ألفاظ، ترتيب نزول، تفسيرات.. الخ؛ وأما الفنية؛ فعثمان اختار الأقل كفاءة؛ كمرwan وزيد وسعيد بن العاص.

س: كانوا أربعة؟

ج: نعم؛ رابعهم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام؛ أحد أبناء الطلقاء؛ لو كان الكتبة (علي وابن مسعود وأبي بن كعب) لما اختلف عليهم أحد.

س: لكن الشيعة يقولون: أن مصحف علي فيه أشياء كثيرة غير موجودة في مصحفنا اليوم، وليست الأمور مجرد ترتيب نزول وألفاظ دون أخرى؟

ج: الواقع غير ذلك؛ أعني أن واقع الشيعة كواقع السنة في اعتماد مصحف عثمان؛ أما الروايات عندهم في ضياع بعض القرآن ونحوه، فقد رويها مثلها تقريباً؛ وكلها ليست عمدة.

س: كيف ليست عمدة؟ بعض المستشرقين وبعض المفكرين العرب كأركون لهم كلام طويل وتساؤلات عن النسخة الأصلية.

ج: أقصد أنا شخصياً لا أعتد ذلك، وهم أحرار.. أعني؛ أن القراءات - أو ما يسمونه لغات العرب أو الاختلافات المعدودة في بعض الألفاظ - لا إشكال فيها، بل هذا مفيد في حل بعض الإشكالات العلمية؛ وأما ما تطرحه بعض الروايات - سنية أو شيعية - وتهوله من ضياع لكثير من القرآن الكريم؛ فهذا لا دليل علي عليه عندي، لعلمي بضخامة ضعف المرويات. وأخيراً؛ كانت هذه أسئلة سمعنا بعضها من قبل وافترضنا أخرى لاستكمال المادة؛ طرحناها مع الإجابات لوجود تشويش

في هذا الجانب عند كثير من الناس..

خلاص..

أطلت عليكم..

إلى لقاء آخر.. في أمان الله.